
مناظرات
في الادب
Bibliotheca Alexandrina
0139943
مكتبة
الاسكندرية



الأولى	بين السيف والقلم	للشيخ جمال الدين بن نباتة المصري
الثانية	بين الورد والنرجس	للشيخ أبي الحسن علي بن محمد الماردينى
الثالثة	بين القنديل والشمعدان	للشيخ عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني

جمعها وشرح ألفاظها

عزت العطار

سكرتير لجنة الشبيبة السورية بمصر

١٩٣٤م

اهداء الرسالة

إلى زعيم سوريا الأوحد ، وقائدها الأكبر ، وبطلها المرجى

فى النوائب والخطوب : رب الحكمة والسيف والقلم

صاحب المعالى

الدكتور عبد الرحمن بك شهبندر

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

هذه ثلاث مناظرات أدبية شيقة لثلاثة من أعلام الأدب العربى أولاها « بين السيف والقلم » للشيخ جمال الدين بن نباتة المصرى. وثانيتها « بين الورد والنرجس » للشيخ أبى الحسن على بن محمد الماردينى . وثالثتها « بين القنديل والشمعدان » للشيخ عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى . رأيناها متفرقة بعيدة عن متناول أيدى جمهرة القراء مع ما اشتملت عليه من محاورات لطيفة ، وتوريات جميلة ، واشارات إلى وقائع وأمثال مشهورة ، وحجج وبراهين كالدرر منثورة . كل ذلك بأسلوب طلى شيق أخاذ بمجامع القلوب، جذاب غير ممل لا يكاد الانسان يأخذ فى قراءة واحدة منها حتى يظن نفسه فى مجلس عقد للمناظرة حقيقة : وانه يشاهد خصمين يتحاجان يستمع إلى حججهما حتى إذا ظن أن الحق مع أحدهما قام الآخر يهدم ما بناه صاحبه ويفند مزاعمه . وهكذا لا يزال يسمع حجة تقرع حجة : ودعابة تقابل بمثلها ، إلى فكاهات لذيذة بريئة ولا يستطيع قطع هذا الحلم اللذيذ حتى يأتى على آخر المحاورة فيتبين انها مناظرة مصطنعة ومخاصمة خيالية وهى إلى ذلك تصور ناحية من نواحى الأدب العربى

الممتع: وهى المناظرات التى ألفوا وضعها على السنة الحيوانات والجمادات فاحببنا تقديمها إلى القراء الكرام طرفة أدبية تضم إلى المكتبة الحديثة ورأينا أن الناشيء لا يستقل بفهم بعض مفرداتها اللغوية الغامضة فشرحناها بتعليقات وجيزة تساعد القارئ على فهم المراد منها ونرجو أن نكون وفقنا إلى ما أردنا

عزت العطار
سكرتير لجنة الشبيبة السورية بالقاهرة

المحاورة الأولى

بين السيف والقلم لابن نباتة المصرى

قال العلامة تقى الدين بن حجة الحموى أن الشيخ جمال الدين أظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ماصدق به قول القائل :

وانى وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما ، والمغايرة فى مدح كل منهما وذمه : فبرز القلم بأفصاحه ، ونشط لارتياحه ، ورقى من الأنامل (١) على أعواده ، وقام خطيبا بمحاسنه ، فى حلة مداده والتفت إلى السيف فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ن والقلم وما يسطرون . ماأنت بنعمة ربك بمجنون . الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم . وخط به ماقدر وقسم . وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال « جف القلم بما هو كائن » وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين ، وكل مجد بائن ، صلاة واضحة السطور : فائحة من أدراج الصدور . مانقلت صحف البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق (٢) الدياجى حكمة باريها .

أما بعد : فأن القلم منار الدين والدنيا ، ونظام الشرف والعليا ، ومجداح (٣) سحب الخير إذا احتاجت الهمم إلى السقيا . ومفتاح باب

(١) رؤس الأصابع (٢) : صحف : واحده مهرق بضم الميم وبفتح الراء . الصحيفة (٣) : المجداح : النوء . وهو ما كانت تعتقده العرب سببا للأمطار من غروب نجم وشروق آخر . والمعنى سبب سحب الخير

ةليمن المجرب إذا اعي ؛ وسفير الملك المحجب ؛ وعذيق الملك المرجب[١] وزمام اموره السائرة ؛ وقادمة[٢] أجنحته الطائرة ؛ ومطلق أرزاق عفاته[٣] المتواترة ؛ وانملة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخرة ؛ به رقم كتاب الله الذى لايأتيه الباطل ؛ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل[٤] فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنة وحسبه ماجرى على يده الكريمة من منة ؛ وفى مراضى الدول عونة للشائدين ؛ وبعين الله فى ليالى النقس[٥] تقلب وجهه فى الساجدين . ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سالكها ، وان علت أسرة الكتب فانما هو مالكها . وان رقمت برود البيان فانما هو جلالها . وان تشعبت فنون الحكم فانما هو أمانها ومالها . واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو عصمها وثمالها[٦]

وان اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتلفع[٧] بسواده . وان ذخرت بحار الأفكار فانما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده وان وعد اوفى بجلب النفع . وان أوعد اخاف كانما يستمد من النقع[٨] هذا وهو لسان الملوك المخاطب . ورسيلها[٩] لابكار الفتوح والخاطب والمنفق فى تعمير دولها محصول انفاسه . والمحتمل أمورها الشاقة على عينه ورأسه . والمتيقظ لجهاد أعدائها ، والسيف فى جفنه[١٠] نائم .

(١) المهاب العظيم (٢) : القادمة واحدة : القوادم هى عشر ريشات فى مقدم جذع الطائر (٣) : طلاب معروفه (٤) : الفاسدة (٥) : الحبر (٦) : الغياث الذى يقوم بأمرها . (٧) : الملتف (٨) : الغبار (٩) : رسولها (١٠) غمده

والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم . والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان . والمسود الناصر فكأنما هو لعين الدهر انسان . طالما ذب عن حرمها فشد الله أزره . ورفع ذكره . وقام فى المحاماة عن دينها اشعث [1] أغبر . لو اقسم على الله لأبره . وقاتل على البعد والصوارم فى القرب . وأوتى من معجزات النبوة نوعامن النصر بالرعب . وبعث جحافل [2] السطور فالقسى [3] دالات . والرماح الفات واللامات لامات [4] . والهمزات كواسر الطير التى تتبع الجحافل . والأتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل . فهو صاحب فضيلتى العلم والعلم . وصاحب ذيلى الفخار فى الحرب والسلم . لايعاديه الا من سفه نفسه . ولبس لبسه . وطبع على قلبه . وفل الجدال من غربه [5] وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه . وكيف يعادى من اذا كرع [6] فى نفسه قيل انا اعطيناك الكوثر . واذا ذكر شانئة السيف قيل ان شانئك هو الأبتر . أقول قولى هذا واستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه . وأتوكل على الله فيما حكم . وإسأله التدبير فيما جرى به القلم . ثم اكتفى بما ذكره من أدواته ، وجلس على كرسى دواته متمثلا بقول القائل .

قلم يفل [7] الجيش وهو عرمرم والبيض ماسلت من الأغماد

(١) : الرجل مغبر الرأس (٢) : جمع جحفل وهو الجيش (٣) : جمع قوس شبه الدالات التى يكتبها القلم بالاقواس (٤) : اللامة : الدرع : وجمعها لامات شبه اللامات التى يكتبها القلم بالدروع . (٥) : حده (٦) : شرب الماء بفمه من غير إناء (٧) : يكسر

وهبت له الآجام (١) حين تشابها كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا . وتلمظ (٢) لسانه للقول مرتجلا وقال :

بسم الله الرحمن الرحيم . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز . الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف . وشرع حدها فى ذوى العصيان . فأغصتهم (٣) بماء الحتوف . وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا . كأنهم بنيان مرصوص ؛ وعقد مرصوف ؛ واجناهم من ورق حديقة الأخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف . وصلى الله على سيدنا محمد هازم الألوف ؛ وعلى آله وصحبه الذين طالما محوا ببريق الصوارم سطور الصفوف صلاة عاطرة فى الأنوف ؛ حالية بها الاسماع كالشنوف (٤) وسلم

أما بعد : فان السيف زند الحق الورى (٥) وزنده القوى ؛ وحده الفارق بين الرشيد والغوى والنجم الهادى الى العز وسبيله ؛ والثغر الباسم عن تباشير فلوله ؛ به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء . وجلى شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاء ؛ وأجرى سيوفه بالاباطح . فاما الحق فمكث . وأما الباطل فذهب جفاء (٦) وحملته اليد الشريفة النبوية وخصته على الأقلام بهذه المزية ؛ وأوضحت به للحق منهاجا . واطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا ؛ وفتحت باب الدين بمصباحه حتى دخله

(١) : الحصون . (٢) : دار فى جوانب الفم استعدادا للكلام (٣) جعلتهم ينغصون (٤) : الاقراط تحلى بها الآذان (٥) : كثير الاتقاد (٦) : باطلا

فيه الناس أفواجا . فهو ذو الرأي الصائب . وشهاب العزم الثاقب وسماء العز التي زينت من آثاره بزينة الكواكب . والحد الذي كأنه ماء دافق. يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والترائب . لا تجحد آثاره . ولا ينكر قراره . اذا اشتبت[1] في الدجى والنقع ناره . يجمع بين الحالتين البأس والكرم . ويصاغ في طوق الحالتين فهو اما طوق في نحور الاعداء واما خلخال في عراقيب أهل النقم . ويحسم به أهواء الفتن المضلة ويحذف بهمته الجازمة حروف العلة . واذا انحنى في سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهلة . فهو القوي الاستطاعة الطويل العمر إذا قصف سواه في ساعة . فما أولاه بطول الاحسان وما أجمل ذكره في أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان . كأن الغيث في غمده للطالب المنتجع[2] وكأنه زناد يستضاء به إلا أن دفع الدماء شرره المتمع . كم قد مد فأدرك الطلاب ؛ ودعا النصر بلسانه المحمر من اثر الدماء فأجاب . وتشعبت الدول لقائم نصره المنتظر . وحازت أبكار الفتوح بحده الذكر[3] وغدت أيامها به ذات حجول[4] معلومة وغرر ؛ وشدت به الظهور ، وحمدت علائقه في الأمور ؛ واتخذته الملوك حرزاً لسلطانها وحصناً على أوطانها وقطانها[5] وجردته على صروف الأقدار في شأنها ونلب فما أعيت عليه المصالح ؛ وباشر الامم[6] فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال فرق واضح ؛ وأغاث في كل فصل . فهو اما لغمده سعد

(١) : اشتعلت (٢) : طالب الكلاء (٣) : القاطع (٤) : حجول جمع حجل. وهو الخلخال «٥» : سكانها «٦» : صغائر الذنوب

الاخبية . واما لحامله سعد السعود ؛ واما لضده سعد الذابح . يجلس على رؤس الاعداء قهرا ؛ ويشرح أبناء الشجاعة قائلا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا : وهل يفاخر من وقف الموت على بابه ؛ وعض الحرب الضروس بنابه ، وقذفت شياطين القراع (١) بشهبه ، ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه . ومنها ان الله أنشأ برقه فكان للمارد مصرعا وللرائد (٢) مرتعا . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا . كم اتخذ من جسد طرسا (٣) وكتب عليه حرفا لاينسى ؛ فيه للالباب عبرة . وللأذهان السابحة غمرة (٤) بعد غمرة . أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم من لفظ يجمح (٥) ورأى الى الخصام يجنح . ولسان يحوجه اللدد (٦) الى أن يخرج فيجرح ؛ وأتوكل عليه فى صد الباطل وصرفه ؛ وأسأله الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه . ثم اختفى فى بعض الحمائل وتمثل بقول القائل :

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه فانى رأيت السيف أفصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة ، ونشطته الجليلة الجائلة ، وفهم كنايته وتلويحه ، وتعريضه بالذم وتصريحه ، وتعديله فى الحديث وتجريحه ، استغاث باللفظ النصير ؛ واحتد وما أدراك ماحدة القصير وقام فى دواته وقعد ؛ واضطرب فى وجه القرطاس وارتعد ؛ وعدل الى السب الصراح ورأى أنه ان سكت تكلم ولكن بافواه الجراح

«١» : الحرب : «٢» : الذى يطلب المرعى «٣» : صحيفة «٤» : شدة
«٥» : يتعدى الحد «٦» الخصومة

فانحرف الى السيف وقال .

أيها المعتز بطبعه . المغتر بلمعه . الناقض حبل الانس بقطمه . الناسخ بهجيره من ظلال العيش فيأ (١) السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً. الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الأبليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين اتعرض بسبي .وتتعرض لمكائد حربى. ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة . والمنن النافعة ولا خير فيمن لاتبغى الانام نفعه . ألست المسود الأحق بقول القائل .

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الجود والاقداما

أتفاخرني وأنا للوصل وأنت للقطع . وأنا للعطاء وأنت للمنع . وأنا للصلح وأنت للضراب . وأنا للعمارة وأنت للخراب . وأنا المعمر وأنت المدمر . وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد . وأنت العابث وأنا المجود (٢) ومن أولى من القلم بالتجويد . فما أقبح شبهك وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك . أعلى مثلى يشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين. وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى « أو من ينشأ في الحلية وهو فى الخصام غير مبين » فقد تعديت حدك. وطلبت مالم تبلغ به جهدك هيهات أنا المنتصب لمصالح الدول. وأنت فى الغمد طريح، والمتعب فى تمهيدها وأنت غافل مستريح ، والساهر وقد مهد لك فى الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره . فأى

«١» : ظلا (٢) : المصلح

الحالتين أرفع. والساعى فى تدبير حال القوم؛ والمفنى لنفعهم العمر إذا كن نفعك يوما أو بعض يوم. فاقطع عنك أسباب المفاخرة. واستر أنيابك عند المكاشرة فايحسن بالصامت محاورة المفصح؛ والله يعلم المفسد من المصالح. على أنه لاينكر لمثالك التصدى؛ ولا يستغرب منه على مثلى التعدى؛ ماأنا أول من أطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان اليه؛ أو لست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قد سلبت الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء؛ وجلبت القسوة فكم هيجت سبة [1] حمراء وأثرت دهما؛ وخمشت [2] الوجوه وكيف لا وأنت كالظفر كونا [3] وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا أين بطشك من حامى؛ وجهلك من علمى؛ وجسمك من جسمى.

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب وذاك جسمى وجسم صيغ من بهق [4].

أين عينك الزرقاء من عينى الكحيلة. وزؤيتك الشنعاء من رؤيتى الجميلة. أين لون الشيب من لون الشباب وأين نذير؛ الاعداء من رسول الاحباب. هذا وكم أكلت الاكباد غيظا وحميت الاضغان قيظا [5] وشكوت الصدأ فسقيت ولكن بشواظ من نار وأخنت عليك الأيام حتى انتعل بايعاضك [6] الحمار. ولولا تعرضك الى لما وقعت فى المقت، ولولا إساءتك لما كنت تصقل فى كل وقت ؛ فدع عنك هذا

«١» علواً «٢» جرحت «٣» خلقة وهيأة ٤ بياض يعترى الجلد يشبه البرص وليس منه (٥) شدة الحر ٦ : اجزائك

الفخر . وتأمل وصفى إذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد .
وافهم قول ابن الرومى .

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لاشىء يعادله مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله فى الأقلام إذ بريت ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قده ، وكاد الغضب يخرجه عن حده وقال .

أيها المتطاول على قصره : والماشى على طريق غرره . والمتعرض منى إلى الدمار ، والمتحرش بى فهو كما تقول العامة ذنبه قش ويحترس بالنار . لقد شمرت عن ساقك حتى اغرقتك الغمرات [1] وأتعبت نفسك فيما لا تدرك الى أن أذهبها التعب حسرات ، أولست الذى طالما رعش السيف للهيبة عطفك [2] ونكس للخدمة رأسك وطرفك : وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفاك . وشق أنفك ، ورفعك فى مهمات خاملة وحطك . وجذبك الاستعمال وقطعك . فليت شعرى كيف جسرت وعبست على مثلى وبسرت [3] وأنت السوقة وأنا الملك . وأنا الصادق وأنت المؤتفك . وأنت لصون الحطام ، وأنا لصون الممالك . وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك . وأنت للفلاحة وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل [4] من نفسه ، وأنا سارى الصباح . وأنا

(١) الشدائد (٢) عطف كل شىء جانبه ٣ بمعنى عدوت ٤ يقال لمن لايهتدى إلى ما يريد

الباصر ، وأنت الأرمد . وأنا المخدوم الابيض وأنت الخادم الاسود . وأقسم بتن صير فى قبضتى أنواع اليمن (١) المسخرة . وجعل فى شخصك وشخصى كقوله تعالى « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » إنك عن بلوغ قدرى لاذل رتبة ، وعن برى كنى لاخيب طلبة فأنى لاأنكر قول بعض أربابك حيث قالوا:

أف لرزق الكتبة أف له ما أصعبه
يرتشف الرزق به من شق تلك القصبه
ياقلما يرفع فى الطرس لوجهى ذنبه
ماأعرف المسكين الا كاتبا ذا متربه

إن عاينت الديوان وقعت فى الحساب والعذاب ، أو البلاغة سحرت وبالغت فانت ساحر كذاب ، أو نخرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمحة الطرف ، أو برقم المصاحف فأنك تعبد الله على حرف ، أو جمعت عملا فانما جمعك للتكسير ، أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير ، وهل أنت فى الدول الاخيال تكتنف الهمم بطيفه أو أصبع يلعق (٢) بها الرزق إذا أكل الضارب بقائم سيفه ؛ وساع على رأسه قل ماأجدى ؛ وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقف وأكدى أين أنت من حظى الاسنى وكنى الاغنى ، وماخصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فاأغنيت فى مهمة وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة الى

(١) البركة «٢» : يلحس

ظلمة ؛ وهب انك كما قلت بفتوق اللسان ، جرى الجنان، مداحل (١) بمخلبك بين ذوى الاقتناص ، معدود من شياطين الدول وأنت فى الطرس والنقس (٢) بين بناء وغواص ، فلو جريت خلفى إلى أن تحفى (٣) وصحت بصريرك الى أن تخفت وتخفى ، فما كنت منى الا بمنزلة المدرة (٤) من السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بمعجزى فانك منين يمين (٥) ولا تحلف لهـا أن تبلغ مداى . فليس لمخضوب البنان يمين ومن صلاح نجمك أن تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بمعجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقاً وتسلم من نار حر تلظى لايصلاها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حصائد لسانك الا أن توقعك فى النار فلا رعى الله عزائمك القاصرة ولا جمع عقارب ليل نفسك التي ان عادت فأن نعال السيوف لها حاضرة ثم قطع الكلام وتمثل بقول أبى تمام

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى ... متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذى أخرجه وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم ورأى أنه هو البادى بهذه المناقشة ؛ والبادى أظلم رجع الى خداعه وتنحى عن طريق قراعه وعلم أن الدهر دهره • والقدر على حكم الوقت قدره وانه أحق بقول القائل

(١) : مخادع (٢) : الورق والحبر (٣) : خفى رقت قدمه أوحافره من كثر المشى (٤) : قطعة من الطين (٥) : يكذب

لحنها معرب وأعجب من ذا ان اعراب غيرها ملحون

فالتفت اليه وقال :

أيها الملتهب فى قدحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ماهذه الزيادة فى السباب والتطفيف (١) فى كيل الجواب وأين علم الشيوخ عند جهل الشباب أما كان الاحسن بك أن تترك هذا الرفث (٢) وتلم أخاك على الشعث وتحلم كما زعمت أنك السنيد وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الجيد أما تعلم انى معينك فى تشييد الممالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك أما أنا وأنت للملك كاليدين وفى تشييده كالركنين الاشدين وما أراك عبتنى فى الاكثر الا بنحول جسمى الذى ليس خلقه على وضعفه الذى ليس أمره الى على أن أشهى الخصور أنحفها وأقوى الجفون أضعفها وأزكى النسيمات أعلها وأدنفها ؛ وهذه ساذات العرب . تعد ذلك من فضلها الأظهر ، وحسنها الأشهر ، ولو أنك تقول بالفصاحة : وتقف فى هذه الساحة ، لاسمعتك من أشعارهم ؛ واتحفتك بما يفخرون به من آثارهم . وكذلك عيبك سواد خلقتى التى أكسبها الحب حلية صبغته صبغة حب القلوب والحدق . فيالله . وياللحجر الأسود من هذه الحجة الباهرة ، والكرة الخاسرة ؛ وعلى هذه النسبة ما عبتنى به من فقر الأنبياء . وذل الحكماء . على أن اطلاقات معروفى معروفة . وسطوات أمرى فى وجوه الاعداء المكسوفة مكشوفة . فاستغفر الله مما فرط فى مقالك . والتفويض من عوائد احتمالك . فلا تشمت بنا الأضداد .

«١» نقص المكيال . (٢) الفحش من القول

ولا تساط بفرقتنا المفسدين فى الأرض أن الله لا يحب الفساد. واغضض الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا تشك أنى قسيمك ولو قيل لك ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض. وأن أبيت إلا أن تهدد وتجرد الشغب وتجدد. فاذكر محلنا من اليد الشريفة السلطانية. الملكية المؤيدة. أيد الله نعمها. وجازى بالاحسان شيمها. وأيقظ فى الآجال والآمال سيفها وقلمها. ولا عطل مشاهد المدح من أنسها. ولا أخل فرائض البأس والكرم من قيام خمسها (١) فاقسم بمن بأسه بالليل وما وسق. ومن بشر طلعته بالقمر اذا اتسق. لو تجاور الأسد والظباء بتلك اليد لوردا بالأمن فى منهل. ورتعا فى روض لا يجهل. ولو لجأ إليها النهار لما راعه بمشيئة الله الليل بزجر. أو الليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الأبيض من الفجر. وعلى ذلك فما ينبغى لنا بين تلك الأنامل غير سلوك الأدب. والمعاضدة على محو الأزمات والنوب. والاستقامة على الحق ولا عوج. والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج. هذه نصيحتى إليك والدين النصيحة والله تعالى يطلعك على معانى الرشد الصريحة. ويجعل بينك وبين ألغي حجابا مستوراً. وينسيك ماتقدم من القول وكان ذلك فى الكتاب مسطوراً

فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلا:

لأمر ما جدع قصير أنفه وأمسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيوف معروفة بالخلل ثم قال:

أيها الضيف الجبار البازغ فى ليل المداد نجماً وكم فى النجوم غرار. لقد

(١) الصلوات الخمس: يريد لا يشغله واجب عن واجب

تظلمت من أمر أنت البادىء بظلامه وتسورت(١) إلى فتح باب انت السابق الى فتح ختمه. وقد فهمت الآن ماذكرت من أمر اليد الشريفة. ونعم ماذكرت وأحسن بما أشرت. وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن. ورددتك إلى أمك الدواة كى تقر عينها ولا تحزن. وسألت الله تعالى أن يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذى أحسن فانها اليد التى

لواثر التقبيل فى يد منعم لمحا براجم (٢) كفها التقبيل

والراحة التى

تسعى القلوب لغوثها ولغيثها فيجيبه التأمين والتأميل

والأنامل التى علمها الله بالسيف والقلم، ومكنها من رتبتى العلم والعمل؛ ودارك بكرمها آمال العفاة بعد أن، ولا، ولم؛ ولولا أن هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الخصل. ومجده الذى اذا جر ذيله ود الفضل. لو تمسك منه بالفضل لاطلت الآن فى ذكر مجدها الاوضح، وافصحت فى مدحها؛ ولا ينكر لمثلها ان انطقت الصامت فافصح ثم انك بعد ماتقدم من القول المزيد؛ والمجادلة التى عز أمرها على الحديد، اقررت أنت اننا للملك كاليدين ولم تقر اينا اليمين، وفى آفاقه كالقمرين. ولم تذكر أينا الوضاحة الجبين؛ ومايشفى ضناى ويروى صداى الا أن يحكم بيننا من لا يرد حكمه. ولا يتهم فهمه، فيظهر أينا المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل، ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل. وقد رأيت أن يحكم بيننا المقام الاعظم الذى أشرت

(١) تسور الحائط: تسلقه (٢) عقد الاصابع

الى يده الشريفة. وتوسلت بمحاسنها اللطيفة ؛ فانه مالك زمامنا. ومنشيء غمامنا (١) ومصرف كلامنا. وحامل أعبائنا الذى ماهوى للهوى. وصاحب أمرنا ونهينا ، وتالله ماضل صاحبكم وماغوى ، ليفصل الأمر بحكمه ، ويقدمنا الى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه ؛ فقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقبل بعد تقبيلنا الارض له فى ذلك البساط ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط. فنشط القلم فرحا ، ومشى فى أرض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب وخر راكعا وأناب وقال سمعا وطاعة وشكراً لله على هذه الشاعة ... «يابرد ذاك الذى قالت على كبدى» الآن ظهر ماتبغيان . وقضى الأمر الذى فيه تستفتيان ، وحكم بيننا الرأى المنير ونبانا بحقيقة الأمر ولا ينبئك مثل خبير ، ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على مايحكم به المالك ، وكانوا أحق بها وأهلها ، وانتبه المملوك من سنة فكره . وطالع بما اختلج سواد هذه الليلة فى سره والله تعالى يديم أيام مولانا السلطان التى هى نظام المفاخر ، ومقام المآثر ، وغوث الشاكى ، وغياث الشاكر ، ويمنع بظلال مقامه الذى لاتكسر الايام مقدار ماهو جابر ولاتجبر ماهو كاسر ان شاء الله تعالى

«١» غمامنا : يريد بذلك الخير والبركة

المحاورة الثانية

بين النرجس والورد

للشيخ الاديب العلامة أبي الحسن على بن محمد الماردينى

قال الشيخ :

الحمد لله الذى أنبت فى رياض [1] الخدود وردة الخجل . وزين أغصان القدود بنرجس حسن المقل . واوضح لذوى الادب سبيل البلاغة فاتضح . واستجلوا من وجوه المعاني عيون الملح . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفارق بين الشك واليقين . يقول غير متلبس وعلى الآل والاصحاب ماخجلت خدود الورد من تغازل عيون النرجس وبعد :

فلما كان الورد والنرجس من أحسن الأزهار وصفا . وألطفها شكلا . وأطيبها عرفا [2] وقد اختلف بينهما فى التفضيل . وأيهما اذا حضر كان لبيت البسط تكميل . مثلتهما كالخصمين فى المناظرة واستنطقت لسان حالهما على سبيل المحاضرة فقال الورد .

الحمد لله الذى انزل فى محكم القرآن « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » والصلاة والسلام على نبيه محمد المبعوث الى الاسود والاحمر الذى نسخ بشريعته البيضاء ملة بنى الاصفر . وبعد فان الله تعالى فضلنى على سائر الزهر بأرفع المراتب . فوجب على شكر نعمته وشكر النعم واجب . فبيّ تتجمل المجالس والمحافل . كفانى الله عين حسودى فالروض

«١» جمع روضة . البقعة المخضرة بأنواع النبات «٢» رائحة

ماسكى . والزهر جنودى . وما فيهم من فرح فى اعلامى السلطانية .
وكيف لا يطيعونى وشوكتى فيهم قوية

فازورت احداق النرجس وقام على ساقه فى المجلس وقال :

اقسم بمن انزل فى كتابه المبين . صفراء فاقع لونها تسر الناظرين.
وحق محمد المحمود الذى أوحى اليه قتل أصحاب الاخدود [١] . لقد مدحت نفسك بالكمال مع نقصك . وما جررت النار الا الى قرصك . أتعيرنى بالاصفرار وهو لون التبر [٢] اذا انسبك . وتفتخر على بالاحمرار فما احمرك . فتأدب فى مقالك . واذكر سرعة زوالك . واحفظ حرمتك والا كسرت شوكتك .

فقال الورد :

ويلك ماأقوى عينك وأكثر مينك [٣] أتجعل مقامك مقامى وأنت من بعض خدامى ، ولو لم تكن قليل الحرمة ما كنت جالسا وأنت واقف فى الخدمة . ألك مثلى حسن منظر ومخبر . أماسمعت أن الحسن أحمر وان عيرتنى بقصر مدتى فقد استبنت عنى بخليفتى ولم يزل جمال المقامات. ومن خلف مثله ما مات . أتحسب محاسنى مثل محاسنك متناهية وكيف ينقطع عملى ولى صدقة جارية ، فشتان بينى وبينك ، وان لم تنته عن جدالى قلعت بشوكتى عينك وانشد لسان حاله شعرا :

لجمال وجهى تشخص الأبصار ولعز مجدى تخضع الازهار
لى بهجة وردية فى وجنتى ولها من ورق الجديد عذار .

«١» الاخدود حفرة مستطيلة «٢» التبر : الذهب قبل الضرب «٣» مينك : كذبك

وملابسى من سندس فتق الشذا[١] أكمامها فانفضت الازرار
فكأننى هذا الحبيب اذا بدا نشوان[٢] قد دارت عليه عقار
لاغرو ان صرف المحب على حيا ة فكم فى وجنتى دينار
حرمى غدا لذوى الخلاعة آمنا من حوله تتخطف الابصار
ولى المهابة والبهاء وأنت من حسد وغيظ قد علاك صفار
ماشانى قصر الزمان ولا يرى لك فى لياليك الطوال فخار
لكن ايامى سرور كلها وكذاك أيام السرور قصار

فقال النرجس :

ياقليل المودة . وياقصير المدة . أين العيون من الخدود ؟ وأين الجافى من الودود . ؟ أنا أوفى بميثاق ومن يزرنى أجلسه على أحداق . فيقول لي من أفضت عليه السرور فيضا . لقد أكرمت ضيفك . فعليك الراية البيضاء . وأنت طالما جنى شوكك على من جناك فذقت عذاب النار . ذلك بما كسبت يداك . سرقت لون الحبيب . وتسترت بالورق فقطعوك والقطع حد من سرق . واستقطر وادمعك واذا قوك الحرق . وقيل لتركبن طبقا عن طبق . وأى فخر فى احمرارك الشريق [٣] وكم بين التبر والعقيق . فلا تبهرج زيفك على خالص اللجين [٤] وارجع عن المناظرة فما جئتك الا بعين هذا ولى فى السبق

«١» الشذا: الرائحة الطيبة «٢» نشوان: سكران
«٣» يريد الاحمرار الذى يخالطه شيء من الصفرة فلا يكون خالصا الى حمرة ولا الى صفرة «٤» اللجين : الفضة

قصبات . وكم جلوت صداع القلب بطيب النفحات . واذا وفد جيش الزهر فلى فى طلائعه عيون . والسابقون السابقون . اولئك المقربون وانشد .

فقت الزهور جميعها بتقدمى فانا المقيم على الوفا يامتهمى
أدعو الندامى للمسرة والهنا وكما علمت شمائلي وتـكرمى
وأقى الجليس بناظرى وأروقه حسنا وساقى فى يديه ومعصمى
واغض طرفي ان خلا بحبيبه وأصون سر العاشق المتكتم
واذا غفا المحبوب كنت لحفظه خوفا عليه من الديب المجرم
واغازل الاجفان وهى نواعس والىَّ تشبيه اللواحظ ينتمى
وترى حجيج اللهو حولى طائفا وجميع أيامى كيوم الموسم
أين العيون من الخدود نفاسة لولا فساد قياس من لم يعلم
فافهم وكن عن رتبتى متأخرا واعلم بأن الفضل للمتقدم

فأحمر خد الورد والتهب . وظهرت فى وجهه صورة الغضب وقال

ياقوى العين ، ويالون اللجين ، خل عنك الحماقة ولا تدخـل فى باب مالك به طاقة ، فلقد استحقيت المقت . ولا أبالى بك ولو برقت كيف تفاخر بصفارك حمرة الخدود ، ومن أين لبياض أجفانك المغازلة للعيون السود ، اتنـاظر بعماشك [1] عيون المـلاح . ماأنت ياعيون النرجس إلا وقاح ، أتعيرنى بحسن الابتلاء وهو الأفضل ؛ وقـد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الانبياء أشـد الناس بلاء » الأمثل

«١» العماش: ضعف البصر مع سيلان الدمع

فالأمثل طالما ابتليت فصبرت ، وشكوت حالى بل شكرت ، أبيت بزفرة لاتخمد ، وادمعى تتحدر ، وانفاسى تتصعد . احبس بلا ذنب . واعصر فتجرى دموعى وماهى الا مهجة تذوب فتقطر ، وماضر ابراهيم القاؤه فى نار النمرود ، ولا شان يوسف سجنه مع فضله المشهود . مع انى طالما لثمت الثغور والاعناق ، وفزت بالشم والضم والعناق ، زكا منى الاصل والفرع . ولا انزل بواد غير ذى زرع ، واقسم ببديع حسنى وتسبيح أوراق ، وسموى عن مراعاة التطير (١) بتوجيه طباقى . ماأنت مجانسى فى المقابلة ، ولا موازنى فى المشاكلة ، ولا لاحق فى الطى والنشر ، وأنا سيد زهر الربيع ولا فخر ، فلا تطل الشقاق والنفاق ، لابد لك من الوقوف فى خدمتى ، ولو قامت الحرب على ساق . وأى فضل لك فى التقديم وكم بين الحبيب والكليم (٢) وان أردت كشف التابيس (٣) ، فتفكر فى فضل آدم على ابليس ، وكم بين الشمس والنجوم . ومامنا إلا له مقام معلوم ، وهل انت الا من بعض جنودى . والمبشرين بورودى ، وأنا منك بالفضل أولى ، وللآخرة خير لك من الاولى وانشد

لم يزدك التقديم فى الفضل شيئا وانا مانقصت بالتأخير
بيننا فى القياس فرق لطيف مثل مابين يوسف والبشير (٤)

فحدق النرجس وحولق ، ورفع رأسه بعد أن أطرق وقال :

افتخرت بآثارك فليست العين كالاثر ، وان كنت مباشر الثغور

«١» التطير : التشاؤم (٢) الحبيب والكليم : يريد سيدنا محمدا و سيدنا موسى عليهما السلام (٣) التلبيس التدليس أو التخليط أى ان اردت الحقيقة (٤) يريد بالبشير سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم

فانا لى حسن النظر ؛ مع انهم ارخصوا بك فى التسعير . وما عصروك الا عن ذنب كبير . ولو لم تكن من المتمردين الانجاس ماحبسوك فى قماقم النحاس . انت فى افتخارك كما قالت الحكماء . انف فى الماء واست فى السماء . تتطفل على الموائد . ولا تصبر على طعام واحد . واقسم بقدى الرشيق ولونى الشريق [1] وبياض صحائفى . واخضرار سوالفى . لئن لم تصن بهجتك المسبوكة . وتستر فضائحك المهتوكة . لاقطعن طرقك المسلوكة . واجعلن حرفتك متروكة . ولا اترك لك فى عصبة الازهار شوكة . واذيقك عذاب الهون . أتعيبنى وكلك عيوب وكلى عيون . أنا طبعى الوفاء . وانت طبعك الغدر . وأنا أول من تنشق عنه الأرض من الزهر ولا فخر . ولولا خشية التطويل عددت معائبك على التفصيل . ولكن شيمتى غض الطرف فى المجالس . وما أحسن الغض من النرجس . وان تشبهت بالشمس انا بكسوفك شمات . وان كنت من السيارة فأنى من النجوم الثوابت ؛ وشتان بين طالع وآفل . وكم بين مقيم وراحل . وان لم ترجع الى السكينة والوقار لأريك النجوم بالنهار . أين فيضان الزمرد من شوك القتاد [2] وكم بين مريد ومراد ؛ واقسم بمن زين السماء بزينة الكواكب . ان لم ترجع لأرمينك بشهاب ثاقب . واسلط عليك رجوم نجومى واقول مضمنا قول ابن الرومى وانشد

عجبت للورد اذ وفى بناظره وزاد فى تقوله عجباً وفى شططه
يبدو وطياته من حول حمرته كصرم بغل وباقى الروث [3] فى وسطه

---

(١) الشريق : الحسن المشرق (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالابر (٣) الروث : الزبل .

فخجل خد الورد حتى كلله من الطل[١] العرق . وكاد خوف الفضيحة يتستر بالورق . ثم انه استشاط كمن اطاق من عقال . وسطا على النرجس بشوكه و قال .

يانفاضة المحافل . ولفـاظة المزابل . كم بين مهتوك ومصون . ومتروك ومخزون . فجل القضية انك راجـل وأنا فارس . وتقوم فى الخدمة وأنا جالس. ولولا فجورك وقوة الحدقة ماجئت تزاحمنى فى الطبقة

فقال النرجس :

أنا عيون المجالس . وشموع المجالس ، وانيس النديم وقدخلقنى الله فى احسن تقويم . من أين لك لطفى ودلالى . وقد فاتك لينى واعتدالى وبى تشبه عين الحبيب فاعلم . ولأجل عين الف عين تـكرم وكثيرا بينك وبينى . وان عدت الى مثلها سقطت من عينى

فقال الورد:

والذى خلق الانسان من علق . والبس الخد حلة الشفق وضرج[٢] الوجنات بحمرة الخجل . ودبج بالتوريد مواقع القبل . لقد جزت فى القول حدا . ولقد جئت شيئا ادا . تريد أن تميز نفسك بتقويمها . وانما الاعمال بخواتيمها . انا خد الحبيب نصيبى . والراح يتلمس ويتمسك بذيل طيبى . أتشك فى أن أحسن صفات المدام الوردية . لقد تفتت قلبى من عينك القوية . أتروم تغطى فضلى بغضا منك وسخطا . اما سمعت فى الامثال أن الشمس ماتتغطى وانشد

---

(١) الطل: المطر الخفيف (٢) ضرج : حمر

أنا والراح للأرواح راحه ... وكم فى قبض ساقى بسط وراحه
أتعمى عن عيوبك اذ ترانى ... بعين النقص ماذا الا وقاحه

فقال النرجس :

والذى زين العيون بالدعج (١) وارسلها فى فترة الاجفان الى المهج وفضل الانسان بالعين والعين بالانسان . وكحل بفنون السحر فتور الاجفان . ان لم ترجع عنى لاجردن سيفى من جفنى واطيح رأسك عند قدمك واخضبك بدمك ومن أنت فى البين وقد أصبح فضلى عليك فرض عين اتحاربنى وجيادى السوابق . وتناظرنى ونواظرى أحداق الحدائق وفى فتور اجفانى من السحر فتون . أتشك فى أن الملاحة فى العيون وانشد

أنا مابين أصحابى بعين ... وفضلى راجح والورد دونى
وفىَّ من الملاحة كل فن ... بديع والملاحة فى العيون

فقال الورد :

أين السهل من الممتنع . وكم بين المتفرق والمجتمع . انت تبذل نفسك فتهان . وأنا اعز بصيونى (٢) عن ملامسة الندمان . وانت رقيب على العشاق فى المجالس الطيبة . واذا رميتهم بعينك يقولون ماذا الا مصيبة أناذو الوجه الاقمر والخد الازهر . واذا تأملت عيونك اذا هى بالساهرة كيف تناظرنى ولى وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة . وانت قد

---

(١) الدعج : سعة العين مع سوادها ، أو شدة سوادها مع شدة بياضها

(٢) أى انى عزيز الجانب لانى أصون نفسى عن ملامسة الندمان وانت تبذل نفسك فتهان

ضربت عليك الذلة . وما اصفرارك الا لعله.

فقال النرجس :

ياقليل الوفاء ، ويا كثير الجفاء . الم تعلم ان التخليق بالصفرة من امارات النصرة . وقال جماعة من الحكماء ان من أنحس الاشكال الحمرة

فقال الورد .

هذا لونى مذ كنت فى أحشاء الاكمام مضغة . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

فقال النرجس: وهذا فضلى من الشواهد .

فقال الورد : مايصفر منا الا الحاسد .

فقال النرجس : لم تزل عين كل شىء أحسنه.

فقال الورد : لا تستوى السيئة ولا الحسنة.

فقال النرجس : ذهبت منك الحجة ، واتضحت لى المحبة ، فانا على المقدور ولى الفضل الاحد بحضورى في مقام المقر الشهابى احمد . وأنا المؤيد بفضل ظاهر لايختفى بحضورى فى حضرة مولانا قاضى القضاة الحنفى .

فقال الورد . وهذا مما يؤيد كلامى . ويرفع فى الفخر مقامى . فكم بلغت بحضرة المخدوم مقصودى ولم يزل الى المنهل العذب ورودى

قال الراوى : فلما رأيت كلا منهما قد جاء فى حجته بالبرهان والدليل ولم يتضح لى أيهما أحرى بالتفضيل . وضاقت على فى الفرق بينهما المسالك ورأيت مالكى بالمدينة فلم يجز لى افتى وفى المدينة مالك . لانه فريد

عصره فى علمه وآدابه. وهو الذى يفصل بيننا بفصل خطابه . كيف لا وهو شهاب له فى ذلك المعالى ارفع المراتب . ومن يسترق السمع يتبعه شهاب ثاقب

شهـاب رقى بالسعد فى ذلك العلى وعاد بفضل منه والعود احمـد
فمن شافعى والوجد فى قلب ثابت سوى مالـكى كنز الفضائل احمد

وما أنا فى اهداء هذه النبذة اليه . وعرض بضاعتى المزجاة (١) عليه . الا كمن اهدى الى البحر قطرة . أو اتحف الروض بزهرة. وهو ذو الصفات التى فاقت على الراح والحبيب رقة ونظماً . وناظرت فعل المدام فكانت افعالها أسما . فقاتلله در من سجع . ما افصح لسانه ، وابلغ بيانه . فلقد احرز قصبات السبق فى ميدان اا عنه الفضل والنظام



(١) المزجاه : القليلة

المحاورة الثالثة

بين القنديل والشمعدان

للمولى الفاضل البارع تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمانى

ابتدأها بأن قال

الحمدلله الذى انار حالك الظلماء، بأنوار بدر السماء، وحلى جيدها بعقود النجوم : وحرس مشيدها بسهام الرجوم وجعلها عبرة للاستبصار ؛ ونزهة للابصار ؛ غشاؤها لازورد مكلل بنضار[١] أو أقاحى[٢] جميلة تفتحت فيها أزرار الازهار . تهدى السارى بسواريها ؛ وتزرى بالدر أنوار داريها . كرع[٣] فى نهر مجرتها النسران : ورفع فى مراعى رياضها الفرقدان

احمده على نعمه التى لايقوم بشكرها لسان ، ولا يؤدى واجب حقها انسان حمدا يجاب الى الحامد أنواع الاحسان . ويسوق الى الشاكر ركائب الخيرات الحسان . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذى أنار الله بوجوده ظلمة الوجود، واظهر بظهوره أفعال الركوع والسجود صلى الله عليه وعلى آله الوافين بالعهود ، وعلى أصحابه اهل الأفضال والجود. صلاة وسلاما دائمين الى اليوم الموعود

وبعد فان فنون الآداب كثيرة الشعوب[٤] متباينة الأسلوب،

---

(١) الذهب (٢) جمع اقحوان . وهو البابونج نبات طيب الريح حواليه ورق ابيض ووسطه اصفر (٣) الكرع : الشرب بالفم بلا استعمال يد او اناء (٤) الشعوب: التفاريع

طالما تلاعب الأديب بفنونها بين جد ومجون ؛ وكيف لا والحديث ذو شجون ، وكنت بحمد الله ممن هو قادر على ابراز ملح الأدب ؛ وعلى اظهار لطائف لغة العرب. فتمثل فى خاطرى المفاخرة بين الشمعدان والقنديل ، ولا بد من ابراز المفاخرة بينهما فى أحسن تمثيل ؛ لأنهما آلتا نور ، ونديما سرور طالما مزقا جلباب الدجى باضوائهما ، وحسما مادة الظلمة بانوارهما ، وطلعا فى سماء المجالس بدورا ؛ واخجلا نور الرياض لما اصدرا من جوهرهما نورا ؛ سما كل واحد منهما الى أنه الأصل وان بمدحه يحسن الفصل والوصل ؛ وانه الجوهرة اليتيمة والبدرة[1] التى ليست لها قيمة ؛ سارت بمحاسنه ركائب الركبان ؛ ونظمت فى جيد مجده قلائد العقيان ، فاحببت أن أنظمهما فى ميدان المناظرة ؛ ليبرز كل واحد منهما خصائصه الواضحة ، ويظهر نقائص صاحبه الفاضحة ؛ وليتسنم غارب[2] الاستحقاق بالفضيلة ؛ ويؤكد فى تقرير فضائله الراجحة دليله ؛ مع انه لاتقبل الدعاوى الا بالبرهان ولعمرى لقد قيل قدما :

من تحلى بغير ماهو فيه فضحته شواهد الامتحان

---

(١) فى الاصل الكمية العظيمة من المال . أو عشرة آلاف درهم والمراد هنا الشىء النفيس (٢) مابين السنام والعنق

فاتلع[1] الشمعدان جيده للمطاولة ؛ وعرض سمهريه[2] الاجينى للمناضلة وقال :

استنت الفصال حتى القرعى[3]

لست بنديم الملوك فى المجالس ، كلا ولا الروضة الغناء للمجالس طالما احدقت بى عساكر النظار ، ووقفت فى استحسان هيا كلى رؤية الابصار . وحملت على الرؤوس اذا علقت بآذانك ، وجليت كحلاء المرهفات[4] اذا اسود وجهك من دخانك

فنضنض[5] لسان القنديل نضنضة الصل[6] وارتفع ارتفاع البازى المطل وقال :

ان كان فخرك بمجالسة السلاطين ؛ فافتخارى بمجالسة أهل الدين : طالما طلعت فى افق المحراب نجما ازداد علا ، وازدانت الاماكن المقدسة بشموس انوارى خلا . جمع شكلى بمجموع العناصر ، فعلى مثلى تعقد الخناصر . يحسبنى الرائى جوهرة العقد الثمين اذا رأى اصفرار لونك كصفرة الحزين ولقد علوتك فى المجالس زمانا ومن صبر على حر المشقة ارتفع مكانا

(١) اتلع : اى رفع (٢) سمهريه : رمحه الصلب
(٣) مثل يضرب للذى يتكلم مع من لاينبغى أن يتكلم بين يده لجلالة قدره استنت : أى لعبت وركضت من النشاط : الفصال جمع فصيل : ولد الناقة . القرعى جمع قريع : الذى اصابه القرع من الفصال (٤) : السيف المرهف : الرقيق الحد القاطع يصف العيون الكحيلة بانها سيوف قاطعة (٥) تحرك (٦) الحية التى لاتنفع منها الرقية

فنظر اليه الشمعدان مغضباوهم بأن يكون عن جوابه منكباً وقال:
أين ثمنك من ثمني. ومسكنك من مسكني ؟ صفائحي صفحات الابريز (١) فاذاسموت عليك بالتبريز (٢) تتنزه العيون فى حمائلي الذهبية وتسر النفوس ببزوغ أنواري الشمسية . ولايملكني إلا من أوطنته السعادة مهادها (٣) وقربت له الرياسة جيادها ، ولقد نفعت فى الصحة والسقم . وازدادت قيمتي اذا نقصت فى القيم . ان انفصمت عراك فلا تسعب ، ولاتعاد الى سبك نار فتصب وتقلب . لست من فرسان مناظرتى ، ولا من قرناء مفاخرتى .

فالتفت القنديل التفات الضرغام ، وفوق (٤) الى قرنيه سهام الملام. وقال . انت عندى كشماله ، لامحاله ، طالك العنقود فابرزت أنواع الحقود. وأين الثريا من يد المتناول . أم اين السها (٥) من كف المتطاول ، تالله انك فى صرفك (٦) بصفرك مغلوط . لقد خصصت بالعلو ، وخصصت بالهبوط . ترى باطني من ظاهرى مشرقا ، وتخالني لخزائن الانوار مطلقا . فحديث سيادتي مسلسل . وتاج فضائلي بجواهر العلو مكلل .

فلحظه الشمعدان بطرف طرفه وأرسل فى ميدان المناظرة عنان طرفه . وقال :

---

(١) : الابريز : الذهب الخالص . (٢) : التبريز : السبق . يقال برز الفرس تبريزا أى سبق الخيل فى الميدان . (٣) مهادها : الفراش . يريد من سهلت له السعادة أسبابها . (٤) فوق : يقال فوق السهم . جعل له فواقا (موضع الوتر من القوس) يريد هيأه ليضرب به (٥) السها : كوكب خفى يمتحن الناس به أبصارهم . (٦) أى فى تزويق الكلام لاثبات فضلك .

ان افتخارك بالعلو غير مفيد . ومزية اختصاصك به ليس له أبهة مزيد . طالما علا القتام (١) . وانحط الفرسان ؛ ومكث الجمر وسما الدخان . ولقد صيرتك كنظر المشنوق حاله . وكضوء السها باله ، وأنت الخليق بما قيل .

(وقلب بلا لب ، واذن بلا سمع)

وسلاسلك تشعر بعقلك . وعلوك ينبيء عن غلو اسقاط كمثلك . عادات التبر كفة بكفه . ووزنته اذ كان فيه خفه ؛ فاصخ لمفاخرى الجليلة . واستمع مناقبي الجميلة ، اطارد جيوش الظلماء برمحى ، وأمزق أثواب الديجور بصبحى ؛ جمع عاملى بين طلع النخل ، وحلاوة النحل ، يتلو سورة النور لسانى . ويقوى فى مصادمة عساكر الليل البهيم جنانى . أسامر المليك خلوه ، ويستجلى من محاسنى أحسن جلوه . ولله در القائل :

انظر الى شمعدان شكله عجب كروضة روضت أزهارها السحب
يطارد الليل رمح فيه من ورق سنانه لهب من دونه الذهب

فمثل هذه المناقب تتلى ؛ ومثل هذه المحاسن تظهر وتجلى .
فأضرم نار تبينه ، فى أحشاء قرينه ؛ فعندها قال القنديل :

لقد أطلت الافتخار بمحاسن غيرك . لما وقفت فى المناظرة ركائب سيرك ؛ فاشكر اليد البيضاء من شمعك . واحرص على معرفة قيمتك ووضعك . وأما افتخارك بتلاوة سورة النور ؛ فانا أحق بها منك اذ محلى

(١) القتام : الغبار

الجوامع . والفرقان فارق بيني وبينك مع انه ليس بيننا جامع . ففضيلتي فيه بينة . وآية نوري في سورة النور مبينة . فاقطع مواد اللجاجة ، واقرأ الآية المشتملة على الزجاجة . يظهر لك من هو الاعلى ، ومن بالافتخار الاولى . تخالني درة علقت في الهواء ، وكوكباً من بعض كواكب الجوزاء .

قنديلنا فاق بأنواره نور رياض لم تزل مزهره
ذبالة [١] فيه اذا أوقدت حكت بحسن الوضع نيلوفره [٢]

لا يحمل الاقذاء [٣] خاطري . ولا يغتم مشاهدي وناظري . فانا خلاصة السبك ، والتبر الذي لا يفتقر الي الحك . اشتقاق اسمك من النحوس . ومن جرمك تقام هياكل الفانوس . لقد عرضت نفسك للمنية . وانعكست عليك مواد الأمنية . مع أن الحق أوضح من لبة الصباح . وأسطع من نور المصباح . والآن غصصت بريقك . وخفيت لوامع بروقك . فهذه الشهباء والحلبه [٤] . وهذه ميادين المناضلة رحبة . فحار الشمعدان في الجواب . وجعل ما أبداه اولا فصل الخطاب .

فقال القنديل :

لابد من الاقرار بأن قدحي المعلى . واني عليك بالتقديم أولى ؛ وان مقامي العالي ، ونوري المتوالي .

---

(١) ذبالة : فتيلة . (٢) نيلوفره : ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة. له أصل كالجزر وساق املس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر . (٣) الاقذاء : جمع القذى وهو مايقع في العين والشراب من تبن ورمل. ونحوهما (٤) الحلبة : الخيل تجمع للسباق .

فقال الشمعدان :

لامنازعة فيما جاءبه الكتاب من تفضيلك . وكونك الكوكب الدرى الذى قصر عن بلوغك باع مثيلك .

فجنح الشمعدان للسلم . وترفع عن استيطان مواطن الاثم . وشرع يبدى شعائر الخضوع . وينشر أعلام الأوبة عما قال والرجوع . وقال:

لولا حمية النفوس . ماتحملت بمفاخرنا صفحات الطروس . ولولا القال والقيل ، ماضمنا معرض التمثيل . ولكن أين صفاؤك من كدريه وأين نظرك من نظرى . خصك الله بنوره . وذكرك فى فرقانه وزبور .

فعندها تهللت أسارير القنديل ، وتبسم فرحا بالتعظيم والتبجيل . وقال :

حيث رجعنا الى شرح الانصاف . واظهار محاسن الاوصاف . ففضلك لايبارى . ووصفك لايجارى . يحسبك الرائى خميلة (١) نور تفتحت أزهارها . وحديقة نرجس اطردت أنهارها . تسر بك النفوس . وتدار على نضارتك الكؤوس . وان اللائق بحالنا طى بساط المنافسة . واخماد شرر المقايسة . والاستغفار فيما فرط من كلامنا ، والرجوع الى الله فى اصلاح أقوالنا وأفعالنا .

ونقول :

الاصل فيما نقلناه عدمه . فقد حق كل واحد منا فى ابراز معايبه قلمه . ونسئل الله أن تدوم لنا نعمه . ويتعاهدنا فى المساء والصباح كرمه بمنه وجوده وكرمه آمين

(١) خميلة : شجر مجتمع كثيف .

مناظرة الازهار

للعالم العلامة والبحر الفهامة جلال الدين السيوطى

حدثنا الريان عن أبى الريحان عن أبى الورد أبان . عن بلابل الأغصان . عن ناظر الانسان . عن كوكب البستان . عن وابل الهتان[١] قال :

مررت يوماً على حديقة . خضرة نضرة أنيقة . طلولها وديقة[٢] وأغصانها وريقة . وكوكبها أبدى بريقه . ذات الوان وأفنان . وأكمام واكنان[٣] واذا بها أزرار الازهار مجتمعة . وأنوار الانوار[٤] ملتمعة وعلى منابر الاغصان أكابر الازاهر . والصبا تضرب على رؤسها من الاوراق الخضر بالمزاهر . فقلت لبعض من عبر . الا تحدثنى ما الخبر . فقال :

أن عساكر الرياحين قد حضرت . وأزاهر البساتين قد نظرت لما نضرت[٥] . واتفقت على عقد مجلس حافل . لأختيار من هو بالملك أحق وكافل . وها أكابر الازهار قد صعدت المنابر . ليبدى كل حجته للناظر . ويناظر بين أهل المناظر فى انه أحق أن يلحظ بالنواظر . من بين سائر الرياحين النواضر . وأولى بأن يتأمر على البوادى منها والحواضر . فجاست لاحضر فصل الخطاب . واسمع ما يأتى به كل من

---

(١) وابل الهتان : المطر الشديد الكبير القطر (٢) وديقة : جوانبها معشبة مخضرة (٣) : اكنان : جمع كن وقاء كل شىء وستره . (٤) الاول جمع نور وهو الضوء . والثانى جمع نورة بمعنى الزهرة . (٥) نضرت : يقال نضر الشىء اذا احسن والمراد بنضرة الازهار تفتحها

الحديث المستطاب .

(فهجم الورد) بشوكته ونجم [1] من بين الرياحين معجبا باشراق صورته وإفراق [2] صولته . وقال :

بسم الله المعين وبه نستعين . أنا الورد ملك الرياحين . والوارد منعشاً الارواح ومتاعاً لها الى حين . ونديم الخلفاء والسلاطين . والمرفوع أبدا على الاسرة . لا أجلس على ترب ولا طين . والظاهر لونى الاحمر على ازاهر البساتين . والعزيز عند الناس . والمودود بين الجلاس للأيناس والعادل فى المزاج . والصالح فى العلاج . أسكن حرارة الصفراء . وأقوى الباطن من الاعضاء . وأبرد أنواع اللهيب الكائنة فى الراس . وربما استخرجها منه بالعطاس ، وانفع من القلاع والقروح [3] . وأنا بعطريتى ملائم لجوهر الروح . ومن تجرع من مائى يسيراً نفع من الغشى والخفقان كثيراً . ودهنى شديد النفع للخراجات . وفيه مآرب كثيرة لذوى الحاجات . وأنا مع ذلك جلد صبّار أجرى مع الاقدار . اذا اصليت [4] بالنار . فلهذا رفعت من أغصانى الاشائر . ودقت من داراتى [5] البشائر . فاعملت لى المشاعر [6] وقال فيّ الشاعر :

للورد عندى محل ورتبة لا تمل
كل الرياحين جند وهو الامير الاجل
ان جاء عزوا وتاهوا حتى اذا غاب ذلوا

(١) طلع وظهر (٢) إفراق : اخافة (٣) القلاع : بثرات تكون فى جلدة الفم واللسان الواحدة قلاعة والقروح : الجروح (٤) وضعت على النار للتقطير . (٥) داراتى : جمع داره ما أحاط بالشيء . (٦) : العلامات أعرف بها .

(فقام النرجس) على ساق . ورمى الورد منه بالاحداق وقال :

لقد تجاوزت الحد ياورد . وزعمت أنك جمع فى فرد . ان اعتقدت أن لك بحمرتك فخرة (١) . فانها منك فجرة (٢) وان قلت انك نافع فى العلاج فكم لك فى منهاج (٣) الطب من هاج (٤) فاحفظ حرمتك والا كسرت بقائم سيفى شوكتك . ويكفيك قول البستى فيك .

لا يغرنك انني لين المس لأني اذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم ثم فيه لآخرين زكام

ولكن أنا القائم لله فى الدياجى (٥) على ساق . الساهر طول الليل فى عبادة ربى فلا تطرف أحداقى . وأنا مع ذلك المعد للحروب . المدعو عند تزاحم الكروب . الاترى وسطى لا يزال مشدوداً . وسيفى لا يزال مجروداً . وأنا فريد الزمان فى المحاسن والاحسان . ولهذا قال . فىّ كسرى انوشروان (النرجس ياقوت أصفر . بين در أبيض على زمرد أخضر .) وأنا المقرون فى مهمات الادواء بالصلاح . أنفع غاية النفع من داء الثعلب (٦) والصرع . ومن الدليل على صلاحى . أن أبا نواس غفر له اثنى علىّ بابيات قالها بامتداحى .

تأمل فى رياض الأرض وانظر الى آثار ماصنع المليك
عيون من لجين شاخصات باحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

(١) فخرة : فخرا (٢) فجرة : كذب (٣) اصل المنهاج : الطريق . (٤) : هاج : ذام (٥) الدياجى : ظلمات الليل (٦) داء الثعلب : علة معروفة يتناثر منها الشعر وسمى داء الثعلب لعروضه للثعالب

ولقد أحسن ابن الرومى حيث قال مبينا فضلى على كل حال :

ايها المحتج للورد بزور ومحال
ذهب النرجس بالفضـــل فانصف فى المقال

(فقام الياسمين) وقال : آمنت برب العالمين . لقد تجبست (١) ياجبس واكثرك رجس نجس . وانت قايل الحرمة . واسمك مشمول بالعجمة . وكيف تطلب الملك وانت بعد قائم مشدود الوسط فى الخدمة رأسك لايزال منكوساً وانت المهيج للقىء المصدع من المحرورين للروس . اصفر من غير علة . مكسو أحقر حلة . ويكفيك بعض واصفيك .

ارى النرجس الغض الزكى مشمراً على ساقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف من فوق رأسه عمائم فيها لليهود علائم

ولكن انازين الرياض . والموسوم فى الوجهه بالبياض . شطر الحسن كما ورد . وانا الطف من ورد جاورد . ونشرى اعبق من نشرك صباحاً ونداً . فانا احق بالملك منك منصوراً ومؤيداً . وانا النافع من امراض العصب الباردة . والملطف للرطوبات الجامدة . انفع من اللقوة والشقيقة (٢) والزكام . ومن وجع الرأس البلغمى والسوداوى . ودهنى نافع من الفالج ووجع المفاصل . ويحلل الاعضاء.

(١) تجبست : يقال تجبس فى مشيئته : تبختر . والجبس الجبان اللئيم
(٢) الشقيقة : وجع يأخذ فى نصف الرأس والوجه

ويجلب العرق الفاضل . يقول لى لسان الحال: (ألست الهزيل مقاما ياياسمين ويشهد لسان الألثغ بأنى الدر الغالى اذا قال : ياثمين·

انا الياسمين الذى لطفت فنلبت المنى
فريحى لمن قد نأى وعينى الى من دنا
وقد شرفت حضرتى لصبرى على من جنى

(فقام البان)وابدى غاية الغضب وأبان وقال :

لقد تعديت ياياسمين طورك . وابعدت فى المداغورك[١] وكونك اضعف الكون . وكثرة شمك تصفر اللون . واذا سحق اليابس منك ورض[٢] وذر على الشعر الاسود ابيض . واذا قسم اسمك قسمين صار ما بين يأس ومين وان ذكرت نفعك فأنت كما قيل لاتساوى جمعك· ولقد صدق القائل من الاوائل.

لامرحبا بالياسمين وان غدا فى الروض زينا
صحفته[٣] فوجدته متضمنا يأساً ومينا

ولكن انا ذو الأسمين. والظافر بالأصل والفرع بالمقسين. والقريب من الباز . والمضروب بقدى المثل فى الاهتزاز . ازهارى عالية. وادهانى غاليه . وقد البست خلعة السنجاب[٤] . واتفق على فضلى الانجاب· أنفع بالشم من مزاجه حار . وأرطب دماغه وأسكن صداعه . ودهنى نافع لكل وجع بارد ، وتحت ذلك صور كثيرة الموارد من الرأس .

(١) غورك : عمقك (٢) رض : دق . (٣) التصحيف تغيير الكلمة بابدال بعض حركاتها أو حروفها (٤)حيوان يشبه اليربوع أكبر من الفار تتخذ من جلده الفراء

والضرس : ويكفى فى وردى قول ابن الوردى .

تجادلنا أماء الزهر أذكى ... أم الخلاف (١) أم ورد القطاف

وعقبى ذلك الجدل اصطلاحنا ... وقد وقع الوفاق على الخلاف

(فقام النسرين) بين القائمين . منتصراً لأخيه الياسمين . وقال: أتتعدى يا بان (٢) على شقيق . وأين الفرى من الذهب الدبيق ، ألم يعرفك الحال قول من قال :

لله بستان حللنا دوحه ... فى جنة قد فتحت أبوابها

والبان تحسبه سنانيراً رأت ... بعض الكلاب فنفشت أذنابها

ولكن أنا زين البستان . وفىّ من الذهب والفضة لونان . أنفع من اورام الحلق . واللوزتين . ووجع الاسنان . ومن برد العصب والدوى والطنين في الآذان . واسكن القيء والفواق . وأقوى القلب والدماغ على الاطلاق وبى غاية الانتفاع . والبرى منى إذا لطخ به الجبهة سكن الصداع ، ويكفيك من المعانى قول من عنانى :

ماأحسن النسرين عندى وما ... أملحه مذ كان فى عينى

زهر إذا ماأنا صحفته ... وجدته بشرى ويسرين

(فقام البنفسج) وقد التهب . ولاحت عليه زرقه الغضب وقال:

أيها النسرين لست عندنا من المعدودين ، ولا فى الصلاح من المحمودين. لانك حار يابس انما توافق المبرودين ، ولا تصلح الا للمشايخ

---

(١) نوع من شجر الصفصاف (٢) البان : شجر سبط القوام لين ورقه يشبه ورق الصفصاف الواحدة بانه ويشبه به القد لطوله .

المباغمين. وانت كثير الاذاعة فلست على حفظ الأسرار بأمين. ويعجبنى ماقال فيك بعض المتقدمين .

ولم أنس قول الورد لاتركنوا إلى ... معاهدة النسرين فهو يمين[1]

ألم تنظروا منه بنانا مخضباً ... وليس لمخضوب البنان يمين[2]

ولكن أنا اللطيف الذات. البديع الصفات. المشبه بزرق اليواقيت. وأعناق الفواخيت[3] ومزاجى رطب بارد . ومنافعى كثيرة الموارد : أولد دماً فى غاية الاعتدال . وأنفع الحار من الرمد والسعال . وأسكن الصداع الصفراوى والدموى لمن شم أو ضمد . والين الصدر ، وأنفع من التهاب المعد[4] وكفانى شرفا بين الاخوان . ان دهنى سيد الأدهان بارد فى الصيف حار فى الشتاء . فهو صالح في كل الأزمان وذلك لأنه يسكن القلق . وينوم أصحاب الأرق . ومنافعى لاتحصى . وما أودعه خالق فى لايستقصى . من رآنى آذن بالانشراح وتفاءل بالانفساح ألا تسمع قول من باح وصاح

يامهديا لى بنفسجا أرجاً ... يرتاح صدرى له وينشرح

يشرنى عاجلاً مصحفه ... بان ضيق الأمور ينفسح

(فقام الليلنوفر)[5] على ساق وحشد الجيوش وساق . وأنشد بعد اطراق

---

(١) فعل مضارع بمعنى يكذب (٢) اسم بمعنى الحلف (٣) جمع فاختته ذات الطوق من الحمام (٤) جمع معدة (٥) هو النيلوفر تقدم فى المناظرة الثالثة

بنفسج الروض تاه عجباً وقال طيبي للجو ضمخ (١)
فأقبـل الزهر فى احتفال والبان من غيظه تنفخ

ثم قال للبنفسج :

بأي شيء تدعى الامارة . وتطاوع نفسك والنفس أمارة ؛ وأكثر ما عندك أنك تشبه بالعذار وبالنار فى الكبريت (٢) وحاصل هـذين يرجع إلى أشنع صيت ، وما من نفع ذكرته عنك إلا وأنا أفعل مثله وأكثر ، وأنا أحرى بسلامة العاقبة منك وأجدر ؛ من شرب اليابس منك ولده قبضاً على القلب ، وربى فى معدته وأمعائه وأحـدث له الكرب ؛ وقد كفانا الورد مؤنة الرد عليك ؛ وحذرنا من القرب منك والاصغاء اليك ؛ فقال :

أعلي يفتخر البنفسج جاهلا وإلى يعز كل فضل يبهر
وأنا المحبب للقلوب زمانه وبمقدمى أهل المسرة تفخر

وقال الحاكى عن الورد الباكى

عاينت ورد الروض يلطم خده ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وإن تضوع نشره ما بينكم فهو العدو الازرق

ولكن أنا اللطيف الغواص ، الكثير الخواص ، أسكن الصداع الحار ، وأذهب بالارق والأسهار ، وما أحسن ماقال فى بعض واصفى

(١) لطخ (٢) يشير إلى قول القائل فى وصف البنفسج .
كأنه وضعاف القضب تحمله * اوائل النار فى اطراف كبريت

يرتاح للينوفر القلب الذى ... لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد أصبح فى الروائح عبده ... والنرجس المسكى خادم عبده
ياحسنه فى بركة قد أصبحت ... محشوة مسكا تشاب بنده[1]

ومنى صنف يقال له البشنين[2] يشابهنى فى التكوين، لا فى التلوين. ويحدث عند اطباق النيل، وله فى منافع الطب تنويل، دهنه محمود فى البرسام[3] إذا تسعط به ذوالاسقام؛ وقد أنشد فيه من أراد أن يوصله حقه ويوفيه

وبركة بغدير الماء قد طفحت ... بها عيون من البشنين قد فتحت
كأنها وهى تزهو فى جوانبها ... مثل السماء وفيها أنجم سبحت

(فقام الآس) وقد استعد وقال:

لقد تجاوزت بالينوفر الحد: الست المضعف للمرء فى قواه الجالب له صفة الشيخوخة فى صباه؛ ولقد عرفك من قال حين وصفك

ولينوفر أبدى لنا باطن له ... مع الظاهر المخضر حمرة عندم[4]
فشبهته لما قصدت هجاءه ... بكاسات حجام بها لوثة الدم

أنا المقوى للابدان. الحابس للاسهال والعرق وكل سيلان والمنشف من الرطوبات المانع من الصنان المسكن للاورام والحمرة[5] والشرى

(١) تخلط بالعنبر. (٢) البشنين: نبات يسميه المصريون عرائس النيل لانه ينبت عند زيادة النيل يظهر صباحا ويغيب مساء (٣) البرسام: التهاب يعرض للحجاب الذى بين الكبد والقلب فارسى معرب معناه التهاب الصدر (٤) عندم: خشب شجر عظام وورقه كورق اللوز ساقه احمر يصبغ بطبخه ويلحم الجراحات ويقطع الدم ويجفف القروح (٥): الحمرة: ورم من جنس الطواعين

والصداع والخفقان. وأنا الباقى فى طول الزمان. وقال فىّ بعض الاعيان

الآس سيد أنواع الرياحين فى كل وقت وحين فى البساتين
يبقى على الدهر لا تبلى نضارته لا فى المصيف ولا فى برد كانون

وقال آخر

للآس فضل بقائه ووفائه ودوام منظره على الأوقات
قامت على أغصانه ورقاته كنصول[1] نبل جنن مؤتلفات

(فقام الريحان) وقال يا آس لاجرحنك جرحا ماله من آس[2]

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام

وانا الوارد فىّ عليكم بالمرزنجوش[3] فشموه فانه جيد للخشام[4]. وأنا أنفع من لسعة العقرب لمن بالخل ضمد ودهني يدخل فى الضمامات للفالج الذى يعرض فيه ميل الرقبة الى خلف . وفى تشنج الاعصاب. ومع هذا فأنا المنوه بأسمى فى القرآن حيث يقال : فروح وريحان . وحسبك منى في التشبيه قول من قال على البديه :

أما ترى الريحان أهدى لنا حماحماً[5] منه فاحيانا
كأنه فى ظله والندى زمرد يحمل مرجانا

فعطف عليه الآس وقال :

ياريحان . أتريد ان تسود وانت تشبه بهامات العبيد السود . ألم يغنك

(١) جمع نصل وهى حديدة توضع فى رأس السهم (٢) طبيب (٣) المرزنجوش: معرب مرزنكوش الفارسيه وعربيته سمسق او الياسمين (٤) الخشام: داء يعترى الانف . (٥) حماحماً : نبات طيب الرائحه يعرف بالحبق الليمونى .

عن مقصوري قول الشهاب المنصوري

وريحان تميس به غصون يطيب بشمه لثم الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز وقد قاموا مكاشيف الرؤس

قال الراوي : فلما ابدى كل مالديه . وقال ماورد عليه . اتفق رأي الناظرين . وأهل الحل والعقد من الحاضرين . على ان يجعلوا بينهم حكماً عادلا يكون لقطع النزاع بينهم فاصلا . فقصدوا رجلا عالماً بالاصول والفروع . حافظاً للآثار الموقوف منها والمرفوع . عارفاً بالانساب . مميزاً بين الاسماء والالقاب والاتباع والاصحاب . مديد الباع . بسيط اليدين في معرفة الخلاف والاجماع . خبيراً بمباحث الجدل . واستخراج مسالك العلل متبحراً في علوم اللغة والاعراب . مطلعاً بعلوم البلاغة والخطاب . محيطاً بفنون البديع . حافظاً للشواهد الشعرية التي هي ابهى من زهر الربيع . شديد الرمية . سديد الاصابة الشعر والنظم صوغ بيانه . والنثر والانشاء طوع بنانه . والتاريخ الذي هو فضيلة غيره فضلة ديوانه . فلما مثلوا بين يديه . ووقعت اعينهم عليه قالوا :

يافريد الارض . ياعالم البسيطة مابين طولها والعرض . إنا اخصام بغى بعضنا على بعض . فانظر في حالنا . لنكون لك ذخيرة يوم العرض . واحكم بيننا بالحق . واقض لأينا بالملك احق . فقال :

ايتها الازهار . اني لست كالذي تحاكم اليه العنب والرطب . ولا الذي تقاضى اليه المشمش والتوت . ولا التين والعنب اني لاقبل الرشا -

ولا اطوى على الغل الحشا : ولا اميل مع صاحب رشوة . ولا استحل من مال المسلمين حسوة . انما احكم بما ثبت فى السنه . ولا اسلك الا طريقاً موصولا للجنة . فقصوا على الخبر . لاعرف من فجر منكم وبر . فلما قص عليه كل قوله . وابدى هينه وهوله . قال :

ليس احد منكم مستحقا للملك . ولا صالحا للانخراط فى هذا السلك ولكن الملك الاكبر . والسيد الابر . وصاحب المنبر . ذو النشر الاعطر والقدر الاخطر . السيد الايد الصالح الجيد هو الفاغية (١) وقد جاء فى الحديث : ان سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية . اشتمل على ما فى الرياحين من الحسنى . وحكم له بالسيادة . وشهد له بها وناهيك بالشهادة

قال : فلما سمعت الرياحين الاحاديث فى فضل الفاغية . اطرقوا رؤسهم خاشعين . وظلت اعناقهم لها خاضعين . ودخلوا تحت امره سامعين طائعين . ومدوا ايديهم لها مبايعين بالامرة ومتابعين . وقالوا لقد كنا قبل فى غفلة عن هذا انا كنا ظالمين . وانا اذا لمن الآثمين وقضى بينهم بالحق . وقيل الحمد لله رب العالمين .

---

(١) الفاغية : زهر الحناء .



50
2